الفصل الثالث

١- الاتبـــاع الراشـــد

٢- الدعاء سلاح المؤمنـــين

٣- تبســـمك صدقـــة

٤- أبواب النـــار مغلقـــة

١ - الاتباع الراشد

الصالحون يلتمسون الالتزام بطاعة حكم الله ﷻ فيما أمر به وفيما نهى عنه، وأدلة أحكام الله ﷻ هذه كثيرة ومتفرعة، وهي موجودة في الكتاب والسُّنَّة، وليس كل إنسان يقادر على أن يستنبط الحكم الشرعي من دليله، فبعض الأدلة عبارة عن نصوص لا يحتمل معناها إلا مقصودًا واحدًا، وبعضها يحتمل معانيَ وجوهًا عِدَّة. حتى الصف الأول منها؛ قد لا يكون الحكم المُسْتَخْرَج منه صحيحًا إذا لم يُتْقِن المُسْتَنْبِطُ العربية، لهذا نشأت مشكلة الاجتهاد والتقليد أو الاتباع.

التقليد أخْذٌ والاجتهاد استنباط:

التقليد هو الأخذ بقول الغير دون مطالبته بالدليل الذي بنى عليه حكمه، في حين أن الاجتهاد هو بذل غاية الجهد، واستفراغ غاية الوسع، في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها بطريق النظر وإعمال الفكر، وهذا الاستنباط يحتاج إلى علم[١]

الناس في العلم درجات:

والناس من جهة العلم: عَوَام أو علماء، العلماء يَعْرِفون والعَوَام يَجْهَلون، وفتوى الجهلة تقود إلى الضلال، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ -رضي الله عنهما- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» [البخاري، الحديث ٩٨]

١- د. يوسف القرضاوي، فقه الدعوة ملامح وآفاق، ص ١٥٧، سلسلة كتاب الأمة

العلماء طبقات ومستويات

والعلماء أنفسهم يتفاوتون في العلم، فليسوا جميعًا على نفس المستوى، بعضهم أعلم من بعض عامَّة، وبعضهم أعلم من غيره في أمور تميزه، فعَنْ زِرَارَةَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ[1] رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ [مسلم، من الحديث ١٢٣٣]

السؤال شفاء الجهل:

والواجب على من حفيت عليه مسألة في دينه أن يسأل من هو أهل لها، ولا يسألَنَّ عنها من ليس لها بأهل، فالعامِّيُّ لا يُقَلِّدُ عامِّيًّا، ولا يُفتي العامي غيره، فقد يُهْلِك نفسه أو يُهْلِك سائله، فعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ، فَشَجَّهُ[2] فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ[3]، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً[4] فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: "قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ[5] السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِبَ أَوْ يَعْصِبَ - شَكَّ مُوسَى[6] - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا، وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ" [أبو داود، الحديث ٣٨٤ وكل رواته ثقات]

١- الوتر: جنس صلاة الليل بركعات معدودة

٢- الشج: الجرح أو الكسر في الرأس

٣- الاحتلام: ان ينزل من الرجل أو المرأة الماء الذي يكون منه الولد أثناء النوم

٤- الرخصة: الإذن بفعل أمر ما بعد النهي عنه، أو عدم فعله بعد الأمر به، بسبب عارض شرعي ما

٥- العي: المراد به الجهل

٦- هو موسى بن عبد الرحمن الأنطاكي، من تابعي التابعين، أحد رواة هذا الحديث

التقليد في العقائد مذموم:

الإيمان هو التصديق الجازم، والتصديق يتطلب اليقين، لذلك لا يصح فيه التقليد، ولهذا كثرت الاستدلالات العقلية التي توصل إلى الإيمان بالوحدانية في كتاب الله ﷻ، ولا فرق لغةً بين أن يقال: مُقلِّد، أو يقال: مُتَّبِع، فقد ذم الله ﷻ سوأ أنواع الاتباع باعتباره تقليدًا أعمى[1]، فقال ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[2]

التقليد في الأحكام العملية جائز:

إن توفير كتب السنن وحدها للعوام لا يكفيهم لكي يصلوا إلى الفتاوى الصحيحة في الأحكام العملية، بل لا بد إلى جانبها من توفر أهلية البحث والنظر فيهم ليبلغوا درجة الاستنباط، وهذا أمر يحتاج للعلم باللغة العربية، ومواضع الإجماع، وطرق القياس، ومقاصد الشريعة وقواعدها الكلية، فضلاً عن العلم بالناس والعصر وخصوصيات المكان.

لهذا لم يكن هناك مفر من القول بأن: [. لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إمامًا من أئمة الدين .][3]، فهذا هو التطبيق العملي لقول الله ﷻ: ﴿.. فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]

١- جمعة أمين، فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين، ص ٩ ١ وما بعدها، بتصرف.

٢- الآيات ١٦٦، ١٦٧ من سورة البقرة

٣- حسن البنا، مجموعة الرسائل، ص ٣٥٧ ، ط المؤسسة الإسلامية.

٤- من الآية ٤٣ من سورة النحل

نتعرف على الدليل ونتقبل الإرشاد:

ولكي تكون النفس مطمئنة إلى سلامة الاتباع، فإما تحاول التعرف على الدليل، فإذا وثقنا من صلاح وكفاية مَن يرشدنا إلى الحُكم ودليله، فإما نتقبل إرشاده، يُضيف الإمام الناصح: [ويحسن مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صحَّ عنده صلاح مَنْ أرشده وكفايته، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان مِن أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر][1].

تطبيقات عملية:

لا نفتي ما دمنا غير علماء، وإن تعرفنا على دليل حُكم فلنحفظه، وإذا نقلناه لغيرنا فلا نتعصب، فإنه عِلْم اقتبسناه، ليس نابع من اجتهادنا فنحاصم من أجله، والعلماء أصحابه أنفسهم لا ينزلقون إلى ذلك، بل يقول قائلهم: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، أو يقولون: نعمل بما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

*****

١- حسن الناس، مجموعة الرسائل، ص ٣٥٧، ط المؤسسة الإسلامية

٢- الدعاء سلاح المؤمنين

مقتضى إيمان المرء بالله ﷻ إلهًا واحدًا وربًّا معبودًا أن يلجأ إليه؛ وعاصمة في المُلمَّات، والإنسان يعرف ضعفه، فإنه كثيرًا ما يصادف طروفًا وأحوالاً لا يملك في مواجهتها حيلة، أما المؤمن فهو يأخذ بالأسباب بيد أنه يستعين بالله ﷻ، أما غير المؤمن فقد يهاجمه اليأس، أو يركن إلى الأسباب المادية وحدها.

الداعي يقصد ملجأه:

يلجأ الإنسان إلى مَن يُظَنُّ أنه يُنجيه، الكافر يلجأ إلى الأسباب التي يعتقد فيها، والمشرك يلجأ مع الله ﷻ إلى آخرين، لكن الله ﷻ هو وحده المُنجي، قال ﷻ: ﴿وإذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إلا إيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وكَانَ الإنسَانُ كَفُورًا﴾[1]، لذلك فهو وحده ملجأ المؤمنين، فلا نقصد غير الله ﷻ، ولهذا فإن توجيه الدعاء من العقائد.

الكل يكابد وللبعض رجاء:

قال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[2]، فكل الناس يكابدون ويتألمون، إلا أن المؤمنين لهم في الله ﷻ رجاء ليس لغيرهم، قال ﷻ: ﴿ولا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3]، فليستعد كل منا لهذه الميزة بأن يرفع دعاءه إلى الله

١- الآية ٦٧ من سورة الإسراء
٢- الآية ٤ من سورة البلد
٣- الآية ١٠٤ من سورة النساء

الاستجابة أكيدة

وعندما يرفع المؤمن دعاءه إلى الله ﷻ، فيسعى أن يوقن بالإجابة، ولا يَعْجَل فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي" [البخاري، الحديث ٥٨٦٥].

الاستجابة لها صور عديدة:

المؤمن يعتقد أن كل ما يحدث إنما هو بمشيئة الله ﷻ وإرادته، ولو استجاب الله ﷻ لدعاء كل عبد على صورته التي دعا بها، لما استقامت الأمور ولا جرت السنن والنواميس، فليس كل ما يريده العبد يكون، فالقاعدة والسنة والناموس أن العبد عبد إرادته محدودة ومشيئته مقيدة، وربنا الله ﷻ إله، مشيئته مطلقة وإرادته نافذة، ولا يكون في الكون إلا ما يريد ﷻ، لذلك علينا أن ندرك أن من حكمة الله ﷻ اختلاف صور الاستجابة إلى الدعاء، فبذلك تتعبد إرادة الله ﷻ، ويحظى العبد بالإجابة على حال من الأحوال، قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدُعَاءٍ إِلا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يُدَّخَرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ بِقَدْرِ مَا دَعَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، أَوْ يَسْتَعْجِلْ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْتَعْجِلُ؟ قَالَ: "يَقُولُ: دَعَوْتُ رَبِّي فَمَا اسْتَجَابَ لِي" [الترمذي، الحديث ٣٥٣١، وقال غريبٌ من هذا الوجه]

نعزم ولا نستثني.

العزم في الدعاء أن تطلب ما تريد بلا تردد ولا تعليق للأمر، والاستثناء عكس العزم، وهو أن تعلق الاستجابة على مشيئة الله ﷻ، ومما أنا نعتقد أن لا شيء يُلزِمُ المولى ﷻ، فقد أُمرنا أن نعزم في الدعاء ولا نُعلِّقه، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: "إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلا يَقُولَنَّ. اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لا مُسْتَكْرِهَ لَهُ" [البخاري، الحديث ٥٨٦٣]

الدعاء أمضى سلاح.

دعاء ينصر المغلوب ويبدل الأرض. قال ﷻ يصف دعاء سيدنا نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[1]، فقد استخدم نوح عليه السلام سلاح الدعاء فانتصر بعد أن كان مغلوبًا، وتبدلت خريطة الأرض بطوفان عظيم، وفاق أثر الدعاء ما تُحدِثُه أسلحة الشر الرهيبة التي نسمع عنها.

دعاء يصف المظلوم: والدعاء أمضى أسلحة المظلوم، فمهما كان المظلوم ضعيفًا فإنه بالدعاء يتقوَّى، فعَنِ ابن عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ. "اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ" [البخاري، الحديث ٢٢٦٨]

الدعاء يغير الناس: والدعاء يُغير حال الناس، فقد قال أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه. كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ" فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ

١- الآيات من ١٠ إلى ١٤ من سورة القمر

فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ[1]، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ[2]، فَقَالَتْ مَكَانَكَ يَا أَنَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا[3] فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ يَا أَنَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْشِرْ، قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ. «خَيْرًا»، قَالَ: قُلْتُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا -يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ- وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلا يَرَانِي إِلا أَحَبَّنِي [مسلم، الحديث ٤٥٤٦]

نصون سلاح الدعاء:

كل سلاح يحتاج صيانة ليبقى صالحًا للاستعمال، وصيانة سلاح الدعاء تكون بتحري الحلال، وبالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ. ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[4]، وَقَالَ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[5] ثُمَّ

١- مجاف معلق

٢- الخشف حركة المشي وصوته

٣- عجلت عن خمارها سارعت بارتدائه، والخمار غطاء رأس المرأة

٤- الآية ٥١ من سورة المؤمنون

٥- من الآية ١٧٢ من سورة البقرة

ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ[1]، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ" [مسلم، الحديث ١٦٨٦]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأمين للإجابة: قالت أم المؤمنين عَائِشَةُ -رضي الله عنها- سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلا يُسْتَجَابَ لَكُمْ" [ابن ماجة الحديث، ٣٩٩٤]، فمن أراد أن يكون مستجاب الدعوة، فليقُمْ بهذا الواجب.

الحركة تنفي الغفلة.

الأصل أن المرء إذا تطلع إلى الاتصال بالله ﷻ فإنه يخلو إلى نفسه، وهذا شأن الشر جميعًا، والمسلم له فوق هذه الفرصة فرصة، إن المسلم إذا تحرك ذَكَر، وغيره إذا تحرك عَمَل، فحركة المسلم في الحياة ترتبط بذِكْر الله ﷻ، فله دعاء إذا استيقظ، وآخر إذا دخل بيت الخلاء، وله دعاء إذا توضأ أو اغتسل، وآخر إذا خرج من الخلاء، وله دعاء إذا تطلع في المرآة، وآخر إذا ارتدى ثيابًا أو خلعها، وله دعاء إذا خرج من بيته أو ركب دابته، وآخر إذا سار إلى مسجده أو سافر لمكان، وله دعاء إذا ارتقى مكانًا مرتفعًا أو دخل بلدًا، وله دعاء إذا أكل أو شرب، وله أدعية في غير ذلك من الأحوال، كل هذه الدعوات تجعل المسلم أكثر صلة بالله ﷻ كلما تحرك ونشط

١- الأشعث غير ممشط الشعر، والأغبر المغبر بالغبار، وهو التراب والمراد أنه طال السفر في وجوه الطاعات كحج وزيارة مستحبة وصلة رحم وغير ذلك

واجبنا التزام الدعوات المأثورات

ومن الناحية العملية تعالوا نحدد أي من الدعوات المأثورات التي تتعلق بأحوال اليوم والليلة سنلتزم بها، نختار لكل أسبوع دعاء، ونضيف عليه آخر كل أسبوع، حتى تصير كل حركة في حياتنا سنًا من أسباب الذكر

*****

٣- تبسمك صدقة

بدأنا نتعارف انتقى لنا مَن نصطفيه لصحبتنا، ونُنَحِّي الآن نعمل يُزيل العربة ويُحِلُّ الألفة ويفتح مغاليق النفوس، وذلك بأن يلقى المصطفين بوجه طلق وأن يبادرهم بالتحية والسلام

بشاشة الوجه أيسر المعروف.

يُعَلِّمُنا المصطفى ﷺ أن بشاشة الوجه أيسر المعروف، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» [مسلم، الحديث ٤٧٦]، إنَّ ابتسامة مشرقة على وجه طلق كفيلة بأن تفتح مغاليق النفوس وأن تنفذ إلى أعماق القلوب، وقد كان الابتسام من هدي الرسول ﷺ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن الْحَارِثِ بن جَزْءٍ ﷺ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. [الترمذي، الحديث ٣٥٧٤، وقال حسن غريب[1]]

تَبَسُّمُك صدقة:

وتَبَسُّمًا لا يَكْسَبُ لنا فقط قلوب الناس، لكنه يُضيف إلى ميزان الحسنات ثواب الصدقات، وهي صدقات لا تكلفك مالاً، بل والأعجب من ذلك أنها صدقات يمكن أن تعطيها للغني كما تعطيها للمحتاج، ثم إنها صدقات يمكن أن يجود بها الفقير، فعن أَبِي ذَرٍّ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ» [الترمذي، من الحديث ١٨٧٩]

١- عندما يقول الترمذي عن الحديث (حسن غريب)، فإنه يعني أنه حفظ ضبط راويه عن راوي الصحيح، ولم يأت إلا من الوجه المذكور

إلقاء السلام من شعائر الإسلام:

بدأ اللقاء بصدقة، بقصد التَبَسُّم، والصدقة عبادة، ومن كرم الله ﷻ أن يجعل تلو ذلك عبادة أخرى، وشعيرة من شعائر الإسلام، إنها إلقاء السلام، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عَمْرٍو أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» [البخاري، الحديث ٢٧]، ولأن السلام شعيرة إسلامية فنحن نقرأه على مَن نعرف ومن لا نعرف، لذلك يفشو السلام في مجتمع المسلمين.

سَلِّمُوا لتحابُّوا:

وعندما يفشو السلام بين أناس فإنهم يتحابُّون، وإذا تحابُّوا كَمُلَ إيمانهم فتأهلوا للجنة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ» [مسلم، الحديث ٨١]

السلام حق للكبير وللصغير.

إلقاء السلام على الكبير وعلى الصغير حق من حقوقهما مادامَا مسلمَيْن، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ. «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ. مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ. «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ » [مسلم، من الحديث ٤٠٢٣]، وَقَالَ أَنَسٌ ﷺ. كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ [الترمذي، من الحديث ٢٦٢٠، وقال صحيح]

التحيات تتفاضل وثوابها يتفاوت.

وكلما تحسنت التحية كلما زاد عائدها من الثواب، فقد روى عِمْرَانُ بن

حُصَيْنٍ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلاثُونَ» [الترمذي، الحديث ٢٦١٣ وقال صحيح غريب]

المصافحة تجلب المغفرة:

تَبَسَّمْنا تَصَدُّقًا، وسَلَّمنا فأجرنا، أفلا نفور بالمغفرة؟ إن المصافحة تجلب المغفرة، وإذا كان عائد التبسم والتحية هو إليك، فإن عائد المصافحة يعود عليك كما يعود على من أحسنت أو لاقيت، فعَنِ الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ، إِلا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا» [الترمذي، الحديث ٢٦٥١ ، وقال حسن غريب]

للنساء إشارة لا مصافحة:

وفي تسليم الرجال على النساء تحل الإشارة محل المصافحة، وكانت أَسْمَاءُ بنت يَزِيد تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمًا وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ فَأَلْوَى بِيَدِهِ[1] بِالتَّسْلِيمِ. [الترمذي، من الحديث ٢٦٢١].

أما عمر بن الخطاب ﷺ فكان يكتفي بالقول، فعن أُمِّ عَطِيَّةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ نِسَاءَ الأَنْصَارِ فِي بَيْتٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا عُمَرَ بن الْخَطَّابِ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلامَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُنَّ.. [أبو داود، من الحديث ٩٦٢ وكل رواته ثقات]

١- ألوى أشار

واجبات عملية:

واحسا أن نرسم الابتسامة على وجوهنا كلما قابلنا مَن اتقيا لصداقتنا أو احترنا لصحتنا، ومهما كانت همومنا فإنها ليست همومه، أو قد يكون لا يعرفها، فيُفسِّرُ العبوس تفسيرًا غير مطلوب

وواحسا أن نبادر بالتحية سلامًا ورحمة وبركات، راجين تعظيم الثواب، وحبذا لو شفعنا ذلك بالمصافحة أو الإشارة كما يقتضي المقام

ونؤكد على أهمية إحلال المصافحة محل الاحتضاء والعناق والتقبيل الذي يعبر مجتمعات أخرى، فعَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ، أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: «لا» قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ[1] وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: «لا» قَالَ: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» [الترمذي، الحديث ٢٦٥٢، وقال: حَسَنٌ]

استبقاء يدفئ المصافحة:

وإذا أراد الإنسان أن تكون المصافحة أدعى من الالتزام فليأخذ بهدي رسول الله ﷺ الذي كان لا يسحب يده من يد مصافحه أولاً، ولا يبادره بصرف وجهه عنه، فعَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْزِعُ، وَلا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الذي يَصْرِفُهُ، وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ [الترمذي، الحديث ٢٤١٤، وقال غريب]

١- يلتزمه يعتنقه ويضمه إلى نفسه

رد التحية من أوجب التكليفات:

ونُخصُّ بالذِّكْر واحدًا عمليًّا آخر، ألا وهو رد التحية والسلام، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[1]، وذكر النبي ﷺ رد السلام كأول حق من حقوق المسلم الخمس على إخوانه، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ..» [البخاري، من الحديث ١١٦٤]

*****

١- من الآية ٨٦ من سورة النساء

٤- أبواب النار مغلقة

على العكس من أبواب الجنة التي تُفتح قُبيل ورود أهلها تيسيرًا لهم وتسهيلاً، ولا تُغلق على أهلها أمنًا وأمانًا وسعة[١]، فإن أبواب النار مُغلقة، لا تُفتح إلا لإدخال الأشقياء، ثم تُغلق عليهم، يقول الله ﷻ: ﴿والذين كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾[٢]

للنار سبعة أبواب.

وأبواب النار متعددة، يقول ﷻ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[٣]، فللنار -والعياذ بالله- سبعة أبواب، ولكل باب أهله، نصيب معلوم ممن يدخلون النار.

هل لكل جارحة باب؟

لكل منا سبع جوارح، عين وأذن ولسان، ثم بطن وفرج، وأخيرًا رِجْل ويد، هذه الجوارح السبع هي أبواب للطاعات التي ترشح صاحبها للجنة، لكنها أيضًا يمكن أن تكون أبوابًا للمعاصي ترشح صاحبها للنار، فهل أبواب النار السبعة تناظر أبواب المعاصي السبعة؟ الله ﷻ أعلم[٤]، وهل يَطْلُب كلُّ باب مَن عصى الله ﷻ بجارحة ما؟

١- سيأتي الحديث عن أبواب الجنة في الفصل القادم

٢- الآيتان ١٩، ٢٠ من سورة البلد، والمشأمة المسرة، أي الذين يأخذون كتابهم بيسراهم، أو الذين يؤخذ بهم ناحية الشمال إلى النار، ومؤصدة معلقة

٣- الآيتان ٤٣، ٤٤ من سورة الحجر

٤- يراجع موضوع (المشارطة)، الجزء الأول، ط ٣، ص ١٥٥

أم لكل فرقة باب؟

الإمام القرطبي له تأمل آخر، فقد يتورع أهل النار على أبوابها عن تصنيفهم، باب للمشركين بالله آلهة أخرى، وباب للشاكين الذين يشكون في الله وفي شريعته، وباب للغافلين عن الله، الجاحدين الملحدين، وباب للمؤثرين شهواتهم، المنهمكين في المعاصي، المكذبين لرسل الله وأمره ونهيه، وباب لقاتلي أنبياء الله وسائر الداعين إليه، المعذبين من ينصح لهم أو يذهب غير مذهبهم، وباب لمكرة العث والحساب، وباب للعتاة الظالمين، الذين لا يدانون بأن يكون ما هم فيه حقًا أو باطلاً، ولا يتفكرون ولا يعتبرون[1].

باب لمن حارب أمة محمد ﷺ:

لكن المؤكد في الحديث الشريف، أن هناك بابًا مخصصًا لِمَن قاتل أمتنا، قال ﷺ: «لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ السَّيْفَ[2] عَلَى أُمَّتِي» [الترمذي، الحديث ٣٠٤٨، ونال عرضا].

أبواب النار تُفتح للدخول:

أبواب النار كأبواب السجون، تُفتح وتُغلق، فمن دواعي تعذيب أهل النار إغلاقها عليهم، لذلك تغلق الأبواب حتى يقف بها أهلها، فإن حدث ذلك فُتحت ليدخلوا والعياذ بالله، قال ﷺ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى

١- من كتاب التذكرة للإمام القرطبي، بتصرف

٢- سل السيف: أخرجه من غمده، والمراد القتال

الكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1]

هـــلا تَذَكَّرْنا؟

أكثرنا يذهب إلى أماكن ذات أبواب، وأحيانًا تُغْلَق هذه الأبواب في وجـــه عموم الناس، ولا تُفْتَح إلا لمن يحور له الدخول، فهي معلقة حتى يقف بها مَـــن يصلح لها، فهل يُذَكِّرُنا ذلك -مع المفارق- بفتح أبواب النار؟ وهل نستفيد مـــن هذا الموقف كثير التكرار في تنبيه مَن يُصاحبنا إلى المعاني التي تناولناها في مقامـــا هذا؟.

إنها فُرَصٌ نُذَكِّر بها أنفسنا، وننبه بها غيرنا، ولعل ذلك يكون من أســـباب إيقاظ الإيمان، فالتفكر في أحوال الآخرة ووصفها من أسباب إيقاظ الإيمان.

*****

١- الآيتان ٧١، ٧٢ من سورة الزمر